

الأسطوري ، وَفَقَّ الطاقات التي يحتملها هو ويقدر عليها . حاوي قَدَمُ « المفتاح » ودعا إلى دخول « القلعة » المتعددة الحجرات والقاعات والممرات . جاء دور المتلقي ، ليتفاعل مع « المكتوب » ولينتج عن هذا « التفاعل » الفعل الشعري الأساسي : « المعيش » . مع « في جوف الحوت » يبدو واضحاً جو التساؤل / التفكُّر والقدرة على اكتشاف الواقع بكل أبعاده . التساؤلات تبدو في أكثر من مكان ، ومع أكثر من كلمة وصورة من النشيد / القصيدة مثل :

- « وَمَتَى يُمَهِّلُنَا الْجَلَادُ وَالسَّوْطُ الْمُدْمَى ؟ »
- « وَمَتَى يَخْجَلُ مَصْبَاحُ الْخَفِيرِ ؟ »
- « وَمَتَى يُحْتَضِرُ الضُّوءُ الْمُقِيمِ ؟ »
- « أَتَرَاهُ كَانَ لِي دُنْيَا سِوَاهَا ؟ »
- « أَتَرَاهُ كَانَ لِي يَوْمٌ مُعَافَى ؟ »

أما اكتشاف الواقع ، فيأتي واضحاً : يَذْبَحُ من الوريد إلى الوريد في جو صوفي يتعد فيه الفكر عن الحس ليكتشف موقع المادي من حياة يُمكن لها في نهاية الأمر أن تُثَوِّرَ من جديد :

- « كُلُّ مَا أَعْرَفُهُ أَنِّي أَمُوتُ »
- مُضَغَّةٌ تَأْفِهَةٌ فِي جَوْفِ حُوتٍ .

أوليس في هذا الفعل الشعري ما يُوثِّقُ الرابط الأساسي بين حاوي / الشاعر المجهد من تعب البحث الحضاري الذي كاد أن يصل معه إلى ظلام الكفر في سديم عجيب ، وبين النبي يونان يقول للرب :

- « لَأَنْكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعَمَقِ فِي قَلْبِ الْبَحَارِ فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ . حَازَتْ فَوْقِي جَمِيعَ تَيَارَاتِكَ وَلَجَجِكَ . فَقَلْتُ قَدْ طَرَدْتَ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ » (٥٠) .

أو ، ألا تُشَبِّهُ هذه المعاناة المتشبهة ، مع حاوي ، باكتشاف الواقع